

التَّقْوَى) أى مآظهر عليه من المكينة والابخات والعمل الصالح وكما تقول
تعرفت سوء أثر الجوع والخوف على فلان وذقت بمعنى تعرفت واللباس
بمعنى سوء الأثر كذلك تقول ذقت لباس الجوع والخوف وأذاقني الله ذلك
فهو استعارة على أن الملاحدين قالوا كيف يذاق اللباس؟ وإنما كان وجه
الكلام فألبسها الله لباس الجوع أو غشاها الله لباس الجوع أو فأذاقها الله
الجوع والخوف ويحذف اللباس ﴿غ﴾ (قَانِنَا) أى مطيعا (شَا كِرَا
لَا نَعْمِهِ) جمع نعم يقال يوم نعم ويوم بؤس ويجمع أنعم وأبؤس وليس
قول من قال إنه جمع نعمة بشيء لأن فعلة لا تجمع على أفعل (وَلَا تَكُ فِي
ضَيْقٍ) تخفيف ضيق مثل هين ولين وهو إذا كان على هذا التأويل صفة
كأنه قال ولا تك في أمر ضيق من مكرهم ويقال إن ضيقا وضيقا بمعنى واحد
كما يقال رَطْلٌ وَرِطْلٌ ويقال أنا في ضيق ضيقة ﴿قال أبو محمد﴾ وهو
أعجب إلى

﴿غريب - سورة سبحان ومشكلا﴾

﴿قال أبو محمد﴾ في صدر الغريب: ومن صفاته تبارك وتعالى سُبُوحٌ
وهو حرف مبنى على فعول من سبح الله إذا نزهه وبرأه من كل عيب ومنه
قيل سبحان الله أى تنزيها لله وتبرئة له من ذلك ومنه قوله - سَبَّحَ لهُ مَافِي
السَّمَوَاتِ وَمَافِي الْأَرْضِ - قال الأعشى

أقول لما جاني نخره سبحان من علقمة الفاخر

أراد التنزه من علقمة وقد يكون تعجب بالتسبيح من نخره كما يقول
القائل إذا تعجب من شيء سبحان الله فكأنه قال عجباً من علقمة الفاخر
(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) أي أخبرناهم (جاسوا خلال الديار)
أي عاثوا بين الديار وأفسدوا يقال جاسوا وحاسوا بهم يجوسون ويحوسون
(ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أي الدولة (وأكثر تغييراً) أي أكثر
عدداً وأصله من ينفر مع الرجل من عشيرته وأهل بيته والنفير والنافر
واحد كما يقال قديرٌ وقادر (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني من المرتين
(ليسوا وأجوهكم) من السوء (وليثبتروا ما علواً تتبيرا) (وجعلنا
جهنم للكافرين حصيراً) أي محبساً من حصر الشيء إذا حبسه فعيل
بمعنى فاعل (ويدعوا الإنسان بالشرُّ دعاءه بالخير) أي يدعو على نفسه وعلى
خادمه وعلى ماله بما لو استجيب له فيه هلك (وكان الإنسان عجولاً) أي
يعجل عند الغضب والله لا يعجل بإجابته (فحونا آية الليل) يعني محونا
القمر (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي مبصراً بها (وكل إنسان
الزمناء طائره في عنقه) قال أبو عبيدة حظه وقال المفسرون ما يحمل من
خير أو شر الزمناء عنقه، وهذان التفسيران يحتاجان إلى تبيين والمعنى في
ما أرى والله أعلم أن لكل امرئ حظاً من الخير والشر قد قضاه الله فهو
لازم عنقه وهو لازم صليف عنقه وهذا لك على وفي عنقي حتى أخرج منه
ولمّا قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب جرى له الطائر بكذا
من الخير وجرى له الطائر بكذا من الشر على طريق القائل والطيرة وعلى

مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سبباً فخطابهم الله سبحانه بما يستعملون وأعلمهم أن ذلك الأمر الذي يجعلونه بالطائر هو يلزمه أعناقهم ونحوه - إلا إنما طائرهم عند الله - وكان الحسن وأبو رجاءٍ ومجاهد رحمهم الله يقرءون - وكل إنسانٍ أزمانه طيره في عنقه - بلا ألف والمعنيان جميعاً سواء لأن العرب تقول جرت له طير الشمال فالطير جماعة والطائر واحد وقوله (يُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا) أي نخرج له بذلك العمل كتاباً ومن قرأ - يخرج له يوم القيامة كتاباً - بالياء أراد ويخرج له ذلك العمل كتاباً (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِيبًا) أي كافياً ويقال محاسباً وحاسباً (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) أي أكثرنا يقال أمرت الشيء وأمرته أي كثرته تقديره فعلت وأفعلت ومنه قولهم مهرة مأمورة أي كثيرة النتائج ويقال أمر بنو فلان يأمرؤن أمراً إذا كثروا وبعض المنسرين يذهب إلى أنه من الأمر يقول نأمرهم بالطاعة ونفرض عليهم الفرائض فإذا فسقوا حق عليهم القول أي وجب ومن قرأ أمراً فهو من الأمارة أي جعلناهم أمراء وقرأ قوم أمرنا بالمد وهي اللغة العالية المشهورة في أكثرنا (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) أي أمر ربك ﴿ش﴾ قال أبو محمد أصل قضى حتم كقوله - فيمسك التي قضى عليها الموت - أي حتمه عليها ثم يصير الحتم بمان كقوله - وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه - أي أمر لأنه لما أمر حتم بالأمر وكقوله - وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب - أي أعلمناهم لأنه لما أخبرهم أنهم سيفسدون في الأرض حتم بوقوع الخبر

- وقوله فقضاهنَّ سبعَ سموات - أى صنعهن وقوله - فاقض ما أنتَ قاض - أى ادفع ما أنت صانع ومثله - فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم افضوا الى - أى اعملوا ما أنتم عاملون - ولا تُنظرون - . وقال أبو ذؤيب (١) :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أوصنع السوابيع تبع

أى صنعهما داود . وقال الآخر (٢) فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قضيت أمورا ثم غاردت بعدها فواتح فى أكامها لم تفتق

أى عملت أعمالا لأن من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه ومنه قيل

للحاكم قاض لأنه يقطع على الناس الأمور ويحكم وقيل قضى قضاؤك أى

فرغ من أمرك وقالوا للميت قد قضا أى فرغ وهذه كلها فروع ترجع الى

أصل واحد ﴿غ﴾ (الأواب) التائب مرة بعد مرة وكذلك التواب

وهو من آب يؤوب أى رجع وقوله (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ) هو من الاستعارة

﴿قال أبو محمد﴾ ومن الاستعارة اللسان يوضع موضع القول لأن القول

يكون به قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام - واجعل لى لسان

صدق فى الآخرين - أى ذكرا حسنا وقال الشاعر : (٣)

لانى أتنى لسانه لا أسرُّ بها من علوا لعجب فيها ولا سخر

أى أتانى خبر لا أسرُّ بها ، ومنه الذكروضع موضع الشرف لأن الشريف

يذكر قال - وإنه لذكرك ولقومك - يريد أن القرآن شرف لكم وقال

(١) قال فى اللسان: هذه رواية الأصمعي، ويروى صنع السوابيع تبع .

(٢) هو الشماخ (٣) هو أعشى باهلة .

- لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم - أي شرفكم وقال - بل أتيناكم بذكرهم
فهم عن ذكركم معرضون - أي أتيناكم بشرفهم ومنه قوله عز وجل - فلا
تقل لهما أف ولا تنهرهما - أي لا تستثقل شيئاً من أمرهما وتضيق صدرأ
بهما ولا تغلظ بهما والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون أف له وأصل
هذا تفخك الشيء يسقط عليك من تراب أو رماد أو غير ذلك وللمكان
تريد إمالة شيء عنه لتقع فيه فقيت لكل مستثقل ولذلك تحرك بالكسر
للحكاية كما يقولون غاق غاق إذا حكوأ صوت الغراب والوجه أن يسكن
إلا أنه تحرك لاجتماع الساكنين فربما نون وربما لم ينون وربما حرك إلى
غير الكسر وسترى باقي باب الاستعارة إن شاء الله عز وجل ﴿غ﴾
(قَوْلًا مَيْسُورًا) أي لينا (مَحْسُورًا) أي تحسرك العطية وتقطعك كما
يحسر السفر البعير فيبقى منقطعاً به يقال حسرت الرجل فأنا أحسره وحسره
فهو يحسره (يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ) يوسع عليه (وَيَقْدِرُ) أي يضيق
عليه (فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) أي لا تمثل إذا قتلت بالقود ولا تقتل غير
قاتلك (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ)
أي يتناهى في الثبات إلى حدّ الرجل ويقال ذلك ثمانية عشر عاماً وأشدّ
اليتيم غير أشدّ الرجل في قول الله عز وجل - حتى إذا بلغ أشده وبلغ
أربعين سنة - وإن كان اللفظان واحداً لأن أشد الرجال الاكتهال
والحنكة وإن اشتد عقله ورأيه وذلك ثلاثون سنة ويقال ثمان وثلاثون
سنة وأشدّ الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى ثباته (وَالْقِسْطَاسُ) الميزان يقال

هو بلسان الروم وفيه لغة أخرى قُسْطَاسٌ بضم القاف وقد قرىء باللغتين جميعاً (وأحسَنُ تَأْوِيلًا) أى أحسن عاقبة (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) أى لا تتبعه بالحدس والظنون ثم تقول رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم وهو مأخوذ من القفا كأنك تقفو الامور أى تكون فى ألقاها وأواخرها تتبعها ويقال قفوت أثره والقائف الذى يعرف الآثار ويتبعها وكأنه مقلوب عن القافى (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى بالكبر والفخر (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ) أى لا تقدر أن تقطعها حتى تبلغ آخرها يقال فلان أخرق الأرض من فلان إذا كان أكثر أسفاراً وغزواً (وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) يريد أنه ليس ينبغى للفاجر أن ينزع ويستطير (مَدْحُورًا) مبعدا مقصى يقال اللهم ادحر الشيطان عنى (وَأَتَّخِذْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاءًا) كانوا يقولون الملائكة بنات الله (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) يقول لو كان الأمر كما تقولون لا بتنى من تدعونه إليها التقرب الى الله سبحانه وتعالى لأنه رب كل مدعوٍ ويقال لا ابتغوا سبيلا أى طريقا للوصول اليه (أَكِنَّةٌ) جمع كنانٍ مثل غطاءٍ وأغطية (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) أى متناجون يسارٌ بعضهم بعضاً (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) قال أبو عبيدة يريد بشرا إذا سحر أى ذارئةٌ كأنهم أرادوا أن يكون ملكا لأن الملك لا سحر له ﴿قال أبو محمد﴾ ولست أدرى ما اضطره الى هذا التفسير المستكره وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكره فيه قال مجاهد رحمه الله فى

قوله - إلا رجلاً مسحوراً - أى مخدوعاً لأن السحر حيلة وخديعة وقالوا
 فى قوله - فأنى تُسحرون - أى من أين تُخدعون - وإنما أنت من
 المسحرين - أى من المعلمين وقال امرؤ القيس : -

* وَتُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (١) *

أى نعللُ فكأننا نُخدعُ وقال لبيد:

* تَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ (٢) *

أى المعلل والناس يقولون سحرتنى بكلامك يريد خدعتنى وقوله
 - انظر كيف ضربوا لك الأمثال - يدل على هذا التأويل لأنهم لو أرادوا
 رجلاً ذارئة لم يكن فى ذلك مثل ضربوه ولكنهم لما أرادوا رجلاً مخدوعاً
 كأنه بالخديعة سحر - كان مثلاً ضربوه وتشبهاً شبهوه وكان المشركين
 ذهبوا إلى أن قوما يعلمونه ويخدعونهم وقال الله جل ثناؤه فى موضع آخر
 حكاية عنهم - ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر - وقال فرعون لى
 لا ظنك يا موسى مسحوراً - لا يجوز أن يكون أراد به لى لا ظنك إنساناً
 ذارئة وإنما أراد لى لا ظنك مخدوعاً (والرفات) ما أرفت وهو مثل القتات
 (فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رءُوسَهُمْ) أى يحركونها كما يحرك البائس من الشىء
 والمستبعد له رأسه يقال نفضت سنه إذا تحركت ويقال للظلم نفض لأنه
 يحرك رأسه إذا عدا (أولئك الذين يدعون) يعنى الذين يعبدون من

(١) صدره : أرانا موضعين لأمر غيب

(٢) صدره : فان تسألينا فيم نحن فأننا

دونه ويدعونهم آلهة يعني الملائكة وكانوا يعبدونها (يبتغون الى ربهم الوسيلة) أي القرية (مسطورا) أي مكتوبا يقال سطر أي كتب (واتينا ثمود الناقة مبصرة) أي آتينا ثمود آية وهي الناقة مبصرة - أي بيته يريد مبصرا بها كما قال (وجعلنا آية النهار مبصرة فظلموا بها) أي كذبوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) أي وما نرسل الرسل بالآيات (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) أي ليلة الاسراء (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الزقوم (الافتنة للناس) يقول قن بها قوم فقالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تأكل الشجرة؟ وكيف يذهب هذا الى بيت المقدس ويرجع في ليلة فارتدوا وزاد الله في بصائر قوم منهم أبو بكر رضوان الله عليه وبه سمي صديقا وكذلك قالوا في قوله عز وجل - ليس لهم طعام إلا من ضريع - ﴿قال أبو محمد﴾ في باب ما ادعوه من التناقض والاختلاف والرد عليهم إذ قالوا كيف قال - ليس لهم طعام إلا من ضريع - وهو يقول في موضع آخر - فليس له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين - فقيل لهم في الرد عليهم إن النار دركات والجنة درجات على قدر الذنوب والحسنات تقع العقوبات والثوبات فمن أهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه غسلين ومنهم من شرا به الصديد والضريع نبت يكون بالحجاز يقال لوطبه الشيرق ولا يسمن ولا يشبع والعرب تصفه بذلك وغسلين فعيلين من غسلت كأنه الفسالة قال بعض المفسرين هو ما يسيل من أجسام الممذبين وهذا نحو قوله - سرايلهم من قطران - ومن قطر آن

قراءة عكرمة ومن تابعه والقِطْرُ النحاس والآتى الذى قد بلغ منتهى حده
 كأن قوما يسربلون هذا وقوما يسربلون هذا أو يلبسون هذا تارة وهذا
 تارة وأما قولهم كيف يكون فى النار نبات وشجرة والنار تأكلها فإن الله
 لم يرد فيما يرى أهل النظر أن الضريع بعينه ينبت فى النار ولا أنهم يأكلونه
 والضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس وإذا وقعت فيه الإبل لم
 تشبع وهلكت هزلا قال الهذلى يذكر إبلا وسوء مرعاها :

وحبسن فى هزم الضريع فكأها حذاء دامية اليدين حرود^(١)

الحرد ضعف عصب اليدين والرجلين فأراد أن هؤلاء قوم يقتاتون
 مالا يشبعهم وضرب الضريع لهم مثلا ويعذبون بالجوع كما يعذب من قوته
 الضريع وكان ما أراد الله بهذا معلوما عندهم مفهوما ولو لم يكن كذلك
 لأنكروه كما أنكروا قوله - إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعا كأنه
 رموس الشياطين - وقد يكون الضريع وشجرة الزقوم نبتين من النار أو
 من جوهر لا تأكله النار وكذلك سلاسل النار وأغلاها وأنكالها وعقاربها
 أعادنا الله منها برحمته لو كانت على ما يعلم لم تبق على النار وإنما دلنا
 الله سبحانه على الغائب عنده بالحاضر عندنا والأسماء متفقة للدلالة والمعانى
 مختلفة وما فى الجنة من شجرها وثمرها وفرشها وعرشها وجميع الأنهار على
 مثل ذلك. قال ابن عباس رضى الله عنه: نخل الجنة جذوعها من زمرّد أخضر
 وكرنفها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحليهم وثمرتها

(١) فى لسان العرب: وهزم الضريع ما تكسر منه . والحرد التى لا تكاد تدر.

أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد
 ليس له عجم ﴿غ﴾ (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ) أى فضلت (لَا حَتَنِيكَنَّ
 ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا) لَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ يقال احتنك الجراد ما على الأرض إذا
 أكله كله واحتنك فلان ما عند فلان من العلم إذا استقصاه ويقال هو من
 حنك دابته يحنكها حنكا إذا شد في حنكها الأسفل جبلا يقودها به أى
 لا يقودنهم كيف شئت (جَزَاءً مَوْفُورًا) أى موفرا يقال وفرت عليه ماله
 ووفرت به بالتخفيف والتشديد (وَاسْتَفْرَزَ) أى استخف ومنه يقال استفزنى
 فلان والرجل الرجالة يقال راجل ورجل مثل صاحب وصاحب وتاجر وتاجر
 (وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) بالنفقة فى المعاصى (وَفِي الْأَوْلَادِ) بالزنا
 (يُزْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ) أى يسيرها قال الشاعر

* فَتَى ^(١) يُزْجِي الْمَطِيَّ عَلَيَّ وَجَاهَا *

(الْحَاصِبُ) الريح سميت بذلك لأنها تحصب أى ترمى بالحصباء وهى
 الحصا الصغار والعاصف من الريح التى تعصف الشجر أى تكسره (يُمْ
 لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) أى من يتبعنا بدمائكم أى من يطالبنا ومنه
 قوله تعالى - فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ - أى مطالبة جميلة (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ
 بِإِمَامِهِمْ) أى بكتابهم الذى فيه اعمالهم على قول الحسن وقال ابن عباس
 فى رواية ابى صالح برئيسهم (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) أى مقدار فتيل
 وهو الخيط الذى فى وسط النواة وقد مر فى الاستعارة (وَلِنْ كَادُوا

(١) يزجى المنطى : يسوقها . اه لسان العرب

لِيَفْتَنُونَا (أى يستزلونك) (لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ) أى لتختلق غيره
 (وإذا لا تَحْذُوكَ خَلِيلًا) أى لوفعلت ذلك لودوك (ضِعْفَ الْحَيَاةِ) ضعف
 عذاب الحياة (وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) أى ضعف عذاب المات . وهذا من باب
 ما حذف اختصاراً (وَإِذَا لَا يَلْبَسُونَ خَلْفَكَ) أى بعدك (دلوك الشمس)
 غروبها ويقال زوالها ﴿قال أبو محمد﴾ القول الأول أعجب إلى لأن العرب
 تقول ذلك النجم اذا غاب وقال ذو الرمة :

مَصَابِيحٌ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودَهَا * نَجُومٌ وَلَا بِالْآفَلَاتِ الدَّوَالِكِ
 ويقال دلكت الشمس يريدون غربت والناظر قد وضع كفه على حاجبه ينظر
 إليها قال الشاعر :^(١)

والشمس قد كادت تكون دنفاً أدفعها بالراح كنى ترحلتها
 فشبها بالمريض الدنف لأنها قد همت بالغروب كما قارب الدنف الموت وإنما
 ينظر إليها من تحت الكف ليعلم كم بقي لها إلى أن تغيب ويتوقى الشعاع
 بكفه (إلى غَسَقِ اللَّيْلِ) أى ظلامه (وَقُرْآنِ الْفَجْرِ) أى قراءة الفجر
 (فَتَهَجَّدُ بِهِ) أى اسهر به يقال تهجدت اذا سهرت وهجدت اذا نمت
 (نَافِلَةٌ لَكَ) أى تطوعاً (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) أى تباعد (كَأَن يَوْسَاءَ) أى قانطا
 يأساً (كُلُّهُ يَعْمَلُ عَلَى شَأْنِكَلْتِهِ) أى خليقته وطبيعته وهو من الشكل يقال
 لست على شاكلتي ولا على شكلي (وَكَوْكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) أى
 عوناً (يَنْبُوعًا) أى عيناً وهو يفعل من نبع ينبع ويقال لمال على رضى

(١) هو العجاج .

